

الناسخ والمنسوخ في سورة آل عمران بين الإثبات والرفض

دراسة موضوعية

The abrogator and the abrogated in Surat Al-Imran, between affirmation and rejection: A subjective study**Nafi'u Idris Ahmad, PhD***Institute of Education, University of Abuja – Nigeria**Email: Idrisnafiu507@gmail.com***ABSTRACT**

Scientists, past and present, talked about the issue of abrogation in the Holy Qur'an, and expanded on it a lot until it included the purified Prophet's Sunnah, where they tried to link the two sources in terms of abrogation. Is the Holy Qur'an abrogated by the Sunnah? Or does the Sunnah abrogate the Holy Qur'an? To other phenomena and detectives surrounding the topic. The study aims to identify the abrogated and the abrogator in Surat Al-Imran, as a surah that contains stories and news of the People of the Book, and it contains different rulings. The study followed the descriptive analytical approach. The study concluded that there is no disagreement among scholars regarding the existence of abrogation in the Holy Qur'an, and that most of the commentators went to the absence of a transcriber and abrogated in Surat Al-Imran, with evidence that they did not refer to it directly or indirectly, as the researcher noticed a clear repetition in the books of interpretation, and this indicates the literal transfer between the ancient and modern ulama. The study recommends researchers in interpretation and the sciences of the Qur'an to pay attention to the abrogator and the abrogated in the rest of the Qur'anic chapters, as a study and investigation.

ملخص الدراسة

تحدث العلماء قديماً وحديثاً عن قضية النسخ في القرآن الكريم، وتوسعوا فيها كثيراً حتى شملت السنة النبوية المطهرة، حيث حاولوا الربط بين المصدرين من حيث النسخ، هل ينسخ القرآن الكريم بالسنة؟ أو هل ينسخ السنة بالقرآن الكريم؟ إلى غير ذلك من الظواهر والمباحث المحيطة بالموضوع. تهدف الدراسة للوقوف على الناسخ والمنسوخ في سورة آل عمران، بوصفها سورة

تحتوي قصصاً وأخبار أهل الكتاب، كما أنها حوت أحكاماً مختلفة. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى أنه لا خلاف بين العلماء في وجود النسخ في القرآن الكريم، وأن أكثر المفسرين ذهب إلى عدم وجود ناسخ ومنسوخ في سورة آل عمران، بدليل أنهم لم يشيروا له إشارة مباشرة أو غير مباشرة، كما لاحظ الباحث تكرراً واضحاً في كتب التفسير، وهذا يدل على النقل الحرفي بين المفسرين القدامى والمحدثين. أوصت الدراسة الباحثين في التفسير وعلوم القرآن بالاهتمام بالناسخ والمنسوخ في بقية السور القرآنية، دراسة وتحقيقاً.

مقدمة:

النسخ قضية تحدث عنها الصحابة والتابعون والعلماء قديماً وحديثاً، وقد اختلف فيها المتأخرون ما بين مؤيد ومعارض، وقد جاءت فكرة الكتابة في الموضوع منذ زمن بعيد، حيث وقف الباحث على كلام النحاس من خلال كتابه: "الناسخ والمنسوخ"، والذي يقرر فيه خلو سورة آل عمران من الناسخ والمنسوخ إلا في ثلاث آيات، وذكرها مع الإشارة إلى الناسخ والمنسوخ فيها، ويبرر فعله هذا بأنه قد جاء به كي لا يقال إنه لم يذكر الناسخ والمنسوخ في السورة، ومن هنا أراد الباحث التعمق في الموضوع لمعرفة آراء العلماء الآخرين فيما ذهب إليه هذا العالم.

وقد قسمت الورقة إلى محورين على النحو الآتي:

المحور الأول: مفهوم الناسخ والمنسوخ.

المحور الثاني: آراء العلماء في الناسخ والمنسوخ في سورة آل عمران:

والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

المحور الأول: مفهوم الناسخ والمنسوخ:

النسخ في اللغة: يطلق النسخ في لغة العرب على معنيين، أحدهما إزالة الشيء وإعدامه، ومنه قول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَكِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ⁽¹⁾ ومنه قولهم: نسخت الشمس الظل ونسخ الشيب الشباب ومنه تناسخ القرون والأزمان.

والآخر نقل الشيء وتحويله مع بقاءه في نفسه، وفيه يقول السجستاني من أئمة اللغة: والنسخ أن تحول ما في الخلية من النحل والعسل إلى أخرى، ومنه تناسخ المواريث بانتقالها من قوم إلى قوم، وتناسخ الأنفس بانتقالها من بدن إلى غيره عند القائلين بذلك، ومنه نسخ الكتاب لما فيه من مشابهة النقل وإليه الإشارة

بقوله تعالى: (تَأْكُتْنَا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ⁽²⁾ والمراد به نقل الأعمال إلى الصحف ومن الصحف إلى غيرها ⁽³⁾.

وقد اختلف العلماء بعد ذلك في تعيين المعنى الذي وضع له لفظ النسخ، فقليل إن لفظ النسخ وضع لكل من المعنيين وضعاً أولياً، وعلى هذا يكون مشتركاً لفظياً وهو الظاهر من تبادل كلا المعنيين بنسبة واحدة عند إطلاق لفظ النسخ وقليل إنه وضع المعنى الأول أما النسخ فهو في اللغة قد يطلق بمعنى الإزالة ومنه يقال نسخت الشمس الظل أي أزالته، ونسخت الريح أثر المشي أي أزالته، ونسخ الشيب الشباب إذا أزاله ومنه تناسخ القرون والأزمنة.

والإزالة هي الإعدام ولهذا يقال: زال عنه المرض والألم وزالت النعمة عن فلان ويراد به الانعدام في هذه الأشياء كلها ⁽⁴⁾.

وإذا كان اسم النسخ مجاز في النقل لزم أن يكون حقيقة في الإزالة؛ لأنه غير مستعمل فيما سواهما.

النسخ في الاصطلاح:

عرف النسخ في الاصطلاح بتعاريف كثيرة مختلفة، ولا نرى من الحكمة استعراضها ولا الموازنة بينها ونقدها وما دام الغرض منها كلها هو تصوير حقيقة النسخ في لسان الشرع فإننا نجتزئ بتعريف واحد نراه أقرب وأنسب وهو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي.

ومعنى رفع الحكم الشرعي قطع تعلقه بأفعال المكلفين لا رفعه هو فإنه أمر واقع والواقع لا يرتفع والحكم الشرعي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين إما على سبيل الطلب أو الكف أو التخيير وإما على سبيل كون الشيء سبباً أو شرطاً أو مانعاً أو صحيحاً أو فاسداً، والدليل الشرعي هو وحي الله مطلقاً متلوّاً أو غير متلو، فيشمل الكتاب والسنة، أما القياس والإجماع ففي نسخهما والنسخ بهما كلام تستقبله في موضع آخر⁽⁵⁾.

المحور الثاني: آراء العلماء في النسخ والمنسوخ في سورة آل عمران:

يقول أبو جعفر: "لم نجد في هذه السورة بعد تقص شديد مما ذكر في الناسخ والمنسوخ إلا ثلاث آيات ولولا محبتنا أن يكون الكتاب مشتملاً على كل ما ذكر منها لكان القول فيها أنها ليست بنسخة ولا منسوخة"⁽⁶⁾.

الآية الأولى: قال الله عز و جل: (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرَّ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ)⁽⁷⁾

فزعم بعض أهل العلم أن هذا منسوخ وذلك أن هذه شريعة قد ذكرها الله عز و جل فكان لنا أن نستعملها ما لم تنسخ ثم إنها نسخت على لسان رسول الله.

قال أبو جعفر كما قريء علي أحمد بن حماد عن سعيد بن أبي مريم قال أخبرنا عبد العزيز الدراوردي قال أخبرنا حزام بن عثمان عن عبد الرحمن ومحمد بن جابر بن عبد الله عن أبيهما قال قال رسول الله لا صمت يوماً إلى الليل قال فنسخ إباحة الصمت وقد قال الله عز و جل إخباراً عن مريم فلن أكلم اليوم إنسياً، ليس في هذا ناسخ ولا منسوخ لأن الحديث عن النبي لا صمت يوماً أنه لا يحل لأحد أن يصمت يوماً إلى الليل ولا يذكر الله عز و جل ولا يسبح وهذا محظور في كل شريعة. والدليل على هذا أن بعد قوله عز و جل ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا الأمر بالتسبيح عشياً وبكراً، وقد زعم بعض العلماء أن الآية الثانية منسوخة وقال بعضهم هي محكمة⁽⁸⁾.

يقول الإمام القرطبي في تفسير الآية: (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرَّ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ)⁽⁹⁾ فيه ثلاث مسائل:

قوله تعالى: " قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً " جعل " هنا بمعنى صير لتعديده إلى مفعولين. و " لي " في موضع المفعول الثاني. ولما بشر بالولد ولم يبعد عنده هذا في قدرة الله تعالى طلب آية - أي علامة - يعرف بها صحة هذا الامر وكونه من عند الله تعالى، فعاقبه الله تعالى بأن أصابه السكوت عن كلام الناس لسؤال الآية بعد مشافهة الملائكة إياه، قاله أكثر المفسرين. قالوا: وكذلك إن لم يكن من مرض خرس أو نحوه ففيه على كل حال عقاب ما. قال ابن زيد: إن زكريا عليه السلام لما حملت زوجته منه يبكي أصبح لا يستطيع أن يكلم أحدا، وهو مع ذلك يقرأ التوراة ويذكر الله تعالى، فإذا أراد مقابلة أحد لم يطقه. الثانية - قوله تعالى: (إِلَّا زَمْزًا) الرمز في اللغة الإيماء بالشفقتين، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين واليدين، وأصله الحركة. وقيل: طلب، تلك الآية زيادة طمأنينة. المعنى: تتم النعمة بأن تجعل لي آية، وتكون تلك الآية زيادة نعمة وكرامة، فقيل له: " آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ " أي تمنع من الكلام ثلاث ليال، دليل هذا القول قوله تعالى بعد بشري الملائكة له. " وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا " (10) أي أوجدتك بقدرتي فكذلك أوجد لك الولد. واختار هذا القول النحاس وقال: قول قتادة إن زكريا عوقب بترك الكلام قول مرغوب عنه، لأن الله عز وجل لم يخبرنا أنه أذن ولا أنه نهاه عن هذا، والقول فيه أن المعنى اجعل لي علامة تدل على كون الولد، إذ كان ذلك مغيبا عني. و " زَمْزًا " نصب على الاستثناء المنقطع، قال الأخفش. وقال الكسائي: رمز يرمز ويرمز. وقرئ " إلا رمزا " بفتح الميم و " رمزا " بضمها وضم الراء، الواحدة رمزة. الثالثة - في هذه الآية دليل على أن الإشارة تنزل منزلة الكلام وذلك موجود في كثير من السنة، وأكد الإشارات ما حكم به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمر السوداء حين قال لها: (أين الله)؟ فأشارت برأسها إلى السماء فقال: (أعتقها فإنها مؤمنة). فأجاز الإسلام بالإشارة الذي هو أصل الديانة الذي يحرز الدم والمال وتستحق به الجنة وينجى به من النار، وحكم بإيمانها كما يحكم بنطق من يقول ذلك، فيجب أن تكون الإشارة عاملة في سائر الديانة، وهو قول عامة الفقهاء. وروى ابن القاسم عن مالك أن الأخرس إذا أشار بالطلاق إنه يلزمه. وقال الشافعي في الرجل يمرض فيختل لسانه فهو كالأخرس في الرجعة والطلاق. وقال أبو حنيفة: ذلك جائز إذا كانت إشارته تعرف، وإن شك فيها فهي باطل، وليس ذلك بقياس وإنما هو استحسان. والقياس في هذا كله أنه باطل، لأنه لا يتكلم ولا تعقل إشارته. قال أبو الحسن بن بطال: وإنما حمل أبا حنيفة. على قول هذا أنه لم يعلم السنن التي جاءت بجواز الإشارات في أحكام مختلفة في «2» الديانة. ولعل البخاري حاول بترجمته " باب الإشارة في الطلاق والأمور " الرد عليه. وقال عطاء: أراد بقوله " إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ " صوم ثلاثة أيام. وكانوا إذا صاموا لا يتكلمون إلا رمزا. وهذا فيه بعد. والله أعلم. الرابعة - قال بعض من يجيز نسخ القرآن بالسنة: إن زكريا عليه السلام منع الكلام وهو قادر عليه، وإنه منسوخ بقوله عليه السلام: " لا صمت يوما إلى الليل ". وأكثر العلماء على أنه ليس بمنسوخ،

وأن زكريا إنما منع الكلام بأفة دخلت عليه منعه إياه، وتلك الأفة عدم القدرة على الكلام مع الصحة، كذلك قال المفسرون. وذهب كثير من العلماء إلى أنه (لا صمت يوما إلى الليل) إنما معناه عن ذكر الله، وأما عن الهذر وما لا فائدة فيه، فالصمت عن ذلك حسن. قوله تعالى: (وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) أمره ألا يترك الذكر في نفسه مع اعتقال لسانه، على القول الأول.

وقال محمد ابن كعب القرظي: لو رخص لاحد في ترك الذكر لرخص لزكريا بقول الله عز وجل (قَالَ آيَتُكَ أَلا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا) ⁽¹¹⁾ ولرخص للرجل يكون في الحرب بقول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ⁽¹²⁾. وذكره الطبري. "وسبح" أي صل، سميت الصلاة سبحة لما فيها من تنزيه الله تعالى عن السوء. و"العشي" جمع عشية. وقيل: هو واحد. وذلك من حين تزول الشمس إلى أن تغيب، عن مجاهد. وفي الموطأ عن القاسم بن محمد قال: ما أدركت الناس إلا وهم يصلون الظهر بعشي. "وَالْإِبْكَارِ" من طلوع الفجر إلى وقت الضحى ⁽¹³⁾. وأما الإمام السعدي فيقول في تفسير الآية: (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) ⁽¹⁴⁾ (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً) أي: علامة على وجود الولد قال (قَالَ آيَتُكَ أَلا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا) أي: ينحبس لسانك عن كلامهم من غير آفة ولا سوء، فلا تقدر إلا على الإشارة والرمز، وهذا آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام، وفيه مناسبة عجيبة، وهي أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها، فإنه يوجد بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره، فامتنع من الكلام ثلاثة أيام، وأمره الله أن يشكره ويكثر من ذكره بالعشي والإبكار، حتى إذا خرج على قومه من المحراب (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) ⁽¹⁵⁾ أي: أول النهار وآخره ⁽¹⁶⁾.

يلاحظ أن الإمام السعدي لم يشير إلى وجود ناسخ ومنسوخ في هذه الآية الكريمة، وإنما فسرها تفسيراً محكماً وانطلق. ولا يستبعد الباحث أن يكون الإمام السعدي ممن لا يقولون بوجود ناسخ ومنسوخ في الآية.

وبالرجوع إلى الإمام البغوي نجد أنه يذهب لمذهب متوسط، يكاد يجمع فيه بين الرأيين، مع أنه لم يشير إلى ذلك صراحة، "قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) ⁽¹⁷⁾. (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً) أي علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة شكراً لك (قَالَ آيَتُكَ أَلا تَكَلِّمَ النَّاسَ) تكف عن الكلام (ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) ⁽¹⁸⁾ وتقبل بكليتك على عبادتي، لا أنه حبس لسانه عن الكلام، ولكنه نهي عن الكلام وهو صحيح سوي، كما قال في سورة

مریم (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا)⁽¹⁹⁾ يدل عليه قوله تعالى: (وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) فأمره بالذكر ونهاه عن كلام الناس .

وقال أكثر المفسرين: عقل لسانه عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام، وقال قتادة: أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إياه فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام، وقوله (إِلَّا رَمَزًا) أي إشارة، والإشارة قد تكون باللسان وبالعين وباليدين، وكانت إشارته بالإصبع المسبحة، وقال الفراء: قد يكون الرمز باللسان من غير أن يبين، وهو الصوت الخفي أشبه الهمس، وقال عطاء: أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزا (وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) قيل: المراد بالتسبيح الصلاة، والعشي ما بين زوال الشمس إلى غروب الشمس ومنه سمي صلاة الظهر والعصر صلاتي العشي، والإبكار ما بين صلاة الفجر إلى الضحى⁽²⁰⁾.

ويبدو أن الإمام البغوي - أيضاً - لم يقف على ناسخ ومنسوخ في الآية، وإن كان هو الآخر قد أطنب في تفسير الآية، وأورد أقوال غيره من العلماء، ومع ذلك كله فإنه لم يقل صراحة أو ضمناً بوجود ناسخ ومنسوخ في الآية، وهو بذلك من طرف الرافضين له.

وهذا الإمام الشوكاني، يقول في تفسيره للآية الكريمة: قوله: (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَآذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ)⁽²¹⁾. ((قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً)) أي: علامة أعرف بها صحة الحبل، فألتقى هذه النعمة بالشكر (قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا) أي: علامتك أن تحبس لسانك عن تكليم الناس ثلاثة أيام لا عن غيره من الأذكار، ووجه جعل الآية هذا؛ لتخلص تلك الأيام لذكر الله سبحانه شكرياً على ما أنعم به عليه، وقيل: بأن ذلك عقوبة من الله سبحانه له بسبب سؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إياه، حكاة القرطبي عن أكثر المفسرين. والرمز في اللغة: الإيماء بالشففتين، أو العينين، أو الحاجبين، أو اليدين، وأصله الحركة، وهو: استثناء منقطع، لكون الرمز من غير جنس الكلام، وقيل: هو متصل على معنى أن الكلام ما حصل به الافهام من لفظ، أو إشارة، أو كتابة، وهو بعيد⁽²²⁾.

وهو هنا كسابقه، لم ير ناسخاً ومنسوخاً في الآية الكريمة، ويبدو أنه اكتفى بما ذكره غيره من المفسرين الذين ينقل عنهم.

ومن هنا يرى الباحث أن أكثر المفسرين ذهب إلى عدم وجود ناسخ ومنسوخ في هذه الآية، والدليل على ذلك أنهم لم يشيروا له إشارة مباشرة أو غير مباشرة.

الآية الثانية: قال الله عز و جل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ)⁽²³⁾

فمن أجل ما روى في تفسيرها وأوضحه ما حدثناه علي بن الحسين قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا عمرو بن الهيثم قال حدثنا المسعودي عن زبيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود في قول الله عز و جل يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته قال أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر. قال أبو جعفر "فكل ما ذكر في الآية واجب على المسلمين أن يستعملوه ولا يقع فيه نسخ وهذا هو قول النبي أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً وكذا على المسلمين كما قال ابن مسعود أن تطيعوا الله فلا تعصوه وتذكروهم فلا تنسوه وأن تشكروهم ولا تكفروهم وأن تجاهدوا فيه حق جهاده فأما قول قتادة مع محله من العلم إنها نسخت فيجوز أن تكون معناه نزلت فاتقوا الله ما استطعتم بنسخة اتقوا الله حق تقاته وأنها مثلها لأنه لا يكلف أحداً إلا طاقته" (24).

وزعم قوم من العلماء الكوفيين أن الآية ناسخة، وقال غيرهم هي محكمة وليست بناسخة. يظهر أن أبا جعفر لم يقطع للقول بوجود ناسخ ومنسوخ في الآية، وإنما أسند القول بوجودها في الآية لبعض العلماء الكوفيين، وإن لم يذكر موقفه هو في القضية. يقول الإمام القرطبي: فقال بعضهم: هي محكمة غير منسوخة... وقال آخرون: هي منسوخة، نسخها قوله: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (25) (26).

يلاحظ أن الإمام الطبري ترك ترجيح أحد القولين على الآخر، وكان حقا عليه أن يبينه. قال مقاتل بن حيان: كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجالان وهما ثعلبة بن غنم من الأوس وأسد بن زرارة من الخزرج. فقال الأوسي: منا خزيم بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضى الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي: منا أربعة أحكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عباد خطيب الأنصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية: يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ قال ابن عباس: هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى.

وقال مجاهد: هو أن تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم وعن أنس قال: لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه، وقيل حق تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم. واختلف العلماء في هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ أم لا على قولين أحدهما أنه منسوخ وذلك أنه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين

وقالوا : يا رسول الله ومن يقوى على هذا؟ فأنزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى في سورة التغابن: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي.

والقول الثاني أنها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس أيضا وبه قال طاوس : وموجب هذا الاختلاف يرجع إلى معنى الآية فمن قال إنها منسوخة قال حق تقاته هو أن يأتي العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بأنها محكمة قال : إن حق تقاته أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقاته لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب أن يتقي وذلك بأن يجتنب جميع معاصيه. وقيل في معنى قول ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذي يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لأن التكليف في تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله : وأن يشكر فلا يكفر فواجب على العبد حضور ما أنعم الله به عليه بالبال ، وأما عند السهو فلا يجب عليه. وكذلك قوله وأن يذكر فلا ينسى فإن هذا إنما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان⁽²⁷⁾.

يبدو أن الخازن يذهب للقول الثاني الذي يقرر عدم وجود ناسخ ومنسوخ في الآية، ويظهر ذلك جليا من خلال شرحه لمعنى قول ابن عباس الأول، حيث يقول: " وقيل في معنى قول ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذي يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه..."

ويقال : إن الله أنزل بعد ذلك : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)⁽²⁸⁾ فهل معنى هذا أن الله كلف الناس أولا ما لا يستطيعون ، ثم قال من بعد ذلك : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) ؟ لا ، إنه الحق سبحانه لا يكلف إلا بما في الوسع ، والناس قد تخطئ الفهم لقوله تعالى : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)⁽²⁹⁾ فيقول العبد: أنا غير مستطيع أن أقوم بذلك التكليف، ويظن هذا العبد أن التكليف يسقط عنه . لا ، إن هذا فهم خاطئ؛ إن قوله الحق: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)⁽³⁰⁾ أي إنك تتقي الله بما كان في استطاعتك من الوسع ، فما باستطاعتك أن تقوم به عليك أن تقوم به . فلا يهرب أحد إلى المعنى المناقض ويقول : أنا غير مستطيع؛ لأن الله يعلم حدود استطاعتك⁽³¹⁾.

وساعة تكون غير مستطيع فهو - سبحانه - الذي يخفف . . إنك لا تخفف أنت على نفسك أيها العبد ، فالخالق الحق هو الذي يعلم إذا كان الأمر خارجا عن استطاعتك أو لا ، وساعة يكون الأمر خارجا عن استطاعتك فالله هو الذي يخفف عنك . ولذلك فعلى الإنسان ألا يستخدم القول الحق: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)⁽³²⁾ في غير موضعه؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يقدر الوسع، ثم يبيّن التكليف على الوسع . بل عليك أن تفهم أيها الإنسان أن الله هو الذي خلق النفس، وهو الذي أنزل التكليف لوسع النفس، وما دام الخالق للنفس هو الله فهو العليم بوسع النفس حينما قرر لها المنهج . إنه سبحانه

الذي كلف، وهو العليم بأن النفس قد وسعت، ولذلك فهو لا يكلف نفساً إلا وسعها. فإن كان سبحانه قد كلف فأعلم أيها العبد أنه سبحانه قد كلف بما في وسعك، وعندما يحدث للإنسان ما يشق عليه أو يمنعه من أداء ما كلف به تماماً فهو - سبحانه - يضع لنا التخفيف وينزل لنا الرخص. مثال ذلك: المريض أو الذي على سفر، له رخصة الإفطار في رمضان، والمسافر له أن يقصر الصلاة.

إذن فالله سبحانه هو الذي علم حدود وسع النفس التي خلقها، ولذلك لا تقدر وسعك أولاً ثم تقدر التكليف عليه، ولكن قدر التكليف أولاً، وقل: ما دام الحق قد كلف فذلك في الوسع⁽³³⁾.

يميل الباحث إلى عدم ورود النسخ في الآية، وذلك لعدم وجود دليل قطعي ينص على ورود النسخ فيها، وهذا أقرب للمنطق السليم. وكذلك؛ لأن أكثر المفسرين على هذا الرأي، حيث إنهم لم يروا نسخاً في الآية، كما أن سكوت الإمام الطبري دليل واضح على عدم وجود النسخ في الآية، ولو كان النسخ موجوداً فيها لناقشه الإمام الطبري.

الآية الثالثة: قال الله عز و جل: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)⁽³⁴⁾.

زعم بعض الكوفيين أن هذه الآية ناسخة للفتن التي كان النبي يفعلها بعد الركوع في الركعة الأخيرة من الصبح.

واحتج بحديث حدثنا أحمد بن محمد بن نافع قال حدثنا سلمة قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر أن النبي لعن في صلاة الفجر بعد الركوع في الركعة الآخرة فقال اللهم العن فلاناً وفلاناً ناساً من المنافقين فأنزل الله عز و جل: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)⁽³⁵⁾.

قال أبو جعفر: "فهذا إسناد مستقيم وليس فيه دليل على ناسخ ولا منسوخ وإنما نبهه الله عز وجل على أن الأمر إليه ولو كان هذا ناسخاً لما جاز أن يلعن المنافقون"⁽³⁶⁾.

واحتج أيضاً بما حدثناه علي بن الحسين عن الحسن بن محمد قال حدثنا شبابة قال أخبرنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن أبي سلمة وابن المسيب عن أبي هريرة قال كان رسول الله إذا أراد أن يدعو لأحد أو يدعو على أحد قنت بعد الركوع فرمما قال إذا قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف حتى أنزلت ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون وهذا أيضاً نظير الحديث الأول وفيه حجة على الكوفيين لأنهم يقولون لا يجوز أن يدعى في الصلاة إلا بما في القرآن أو ما أشبهه وليس في القرآن من هذا شيء ولذلك عارض هذا المحتج بأن جعله في الناسخ والمنسوخ

بلا حجة قاطعة ولا دليل واضح لما صح عن النبي الدعاء في الصلاة بغير ما في القرآن وعن الصحابة والتابعين. وأيضاً فإن العرب إنما كانت تعرف الصلاة في كلامها الدعاء كما قال:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً** يا رب جنب أبي الأوصاب والوجع

عليك مثل الذي صليت فاعتصمي** يوماً فإن لجنب المرء مضجعاً

فسميت الصلاة صلاة لأن الدعاء فيها وهذا قول المدنيين أن للإنسان أن يدعو في صلاته بما شاء من الطاعة وعلى أنه قد روي بما صح سنده في نزول الآية غير هذا من ذلك ما حدثنا علي بن الحسين عن الحسن بن محمد قال حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال شج النبي في وجهه وكسرت ربايته ورمي رمية على كتفه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف تفلح أمة فعلوا هذا بنبيهم فأنزل الله عز و جل ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون

وهذا الحديث ليس يناقض لما تقدم بكون الأمران جميعاً كانا فنزلت الآية. وقرئ على أحمد بن محمد بن الحجاج عن يحيى بن سليمان قال حدثنا يوسف بن بكير عن محمد بن إسحاق قال حدثني يعقوب بن عتبة عن سالم بن عبد الله بن عمر قال جاء رجل من قريش إلى النبي فقال إنك تنهى عن السي تقول قد سي العرب ثم تحول فحول قفاه إلى النبي وكشف إسته في وجه رسول الله فلعهن ودعا عليه فأنزل الله عز و جل ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ثم أسلم الرجل فحسن إسلامه قال أبو جعفر فهذا الحديث وإن كان منقطعاً فإنما ذكرناه لأن سالماً هو الذي وصله عن أبيه وفي هذا زيادة أن الرجل أسلم فعلم أن النبي نبه على أنه لا يعلم من الغيب شيئاً وأن الأمر كله لله يتوب على من يشاء ويعجل العقوبة لمن يشاء⁽³⁷⁾.

والتقدير ليس لك من الأمر شيء والله ما في السموات وما في الأرض دونك ودونهم يغفر لمن يشاء ويتوب على من يشاء ويعذب من يشاء.

وهنا "يخبر تعالى أن نصره عباده المؤمنين لأحد أمرين: إما أن يقطع طرفاً من الذين كفروا، أي: جانباً منهم وركناً من أركانهم، إما بقتل، أو أسر، أو استيلاء على بلد، أو غنيمة مال، فيقوى بذلك المؤمنون ويذل الكافرون، وذلك لأن مقاومتهم ومحاربتهم للإسلام تتألف من أشخاصهم وسلاحهم وأموالهم وأرضهم فبهذه الأمور تحصل منهم المقاومة والمقاتلة فقطع شيء من ذلك ذهاب لبعض قوتهم، الأمر الثاني أن يريد الكفار بقوتهم وكثرتهم، طمعاً في المسلمين، ويمنوا أنفسهم ذلك، ويحرصوا عليه غاية الحرص، ويبدلوا قواهم وأموالهم في ذلك، فينصر الله المؤمنين عليهم ويردهم خائبين لم ينالوا مقصودهم، بل يرجعون بخسارة وغم وحسرة، وإذا تأملت الواقع رأيت نصر الله لعباده المؤمنين دائراً بين هذين الأمرين، غير خارج عنهما إما نصر عليهم أو خذل لهم"⁽³⁸⁾.

وقال القاضي: و"كأن النبي صلى الله عليه وسلم لحقه في تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش، فمالت نفسه إلى أن يستأصلهم الله ويريح منهم، فروي أنه دعاء عليهم أو أستأذن في أن يدعو عليهم، وروى ابن عمر وغيره: أنه دعا على أبي سفيان والحارث بن هشام وصفوان بن أمية باللعنة، إلى غير هذا من معناه، فقليل له بسبب ذلك، "ليس لك من الأمر شيء" أي عواقب الأمور بيد الله، فامض أنت لشأنك ودم على الدعاء إلى ربك، قال الطبري وغيره من المفسرين: قوله: "أو يتوب عليهم" عطف على "يكبتهم" (39).

فتبين بهذا كله أن لا ناسخ ولا منسوخ في هذه الآية، وأنّ القول بوجود ناسخ ومنسوخ فيها مجرد رأي قال به بعض العلماء الكوفيين، في أن هذه الآية ناسخة للقنوت الذي كان النبي يفعله بعد الركوع في الركعة الأخيرة من الصبح.

الخاتمة: إلى هنا توصل الباحث لخاتمة الدراسة، وهي تشتمل على نتائج الدراسة وتوصياتها على النحو التالي:

نتائج:

توصلت الدراسة لعدد من النتائج، يمكن إجمالها في الآتي:

- 1- لا خلاف بين العلماء في وجود النسخ في القرآن الكريم.
- 2- إنّ أكثر المفسرين ذهب إلى عدم وجود ناسخ ومنسوخ في سورة آل عمران، بدليل أنهم لم يشيروا له إشارة مباشرة أو غير مباشرة.
- 3- لاحظ الباحث تكرراً واضحاً في كتب التفسير، وهذا يدل على النقل الحرفي بين المفسرين القدامى والمحدثين.

توصيات:

توصي الدراسة الباحثين في التفسير وعلوم القرآن بالاهتمام بالناسخ والمنسوخ في بقية السور القرآنية، دراسة وتحقيقاً.

هوامش:

- 1- سورة الحج، الآية 52.
- 2- سورة الجاثية، الآية 29.
- 3- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج2، ص175.

- 4- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الإحكام في أصول القرآن، ص280.
- 5- المرجع نفسه، 176.
- 6- أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح - الكويت، ط1، 1408هـ، ج1، ص279.
- 7- سورة آل عمران، الآية 41.
- 8- النحاس، الناسخ والمنسوخ، ج1، ص280.
- 9- سورة آل عمران، الآية 41.
- 10- سورة مريم، الآية 9.
- 11- سورة آل عمران، الآية 41.
- 12- سورة الأنفال، الآية 45.
- 13- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م، ج4، ص81 - 82.
- 14- سورة آل عمران، الآية 41.
- 15- سورة مريم، الآية 11.
- 16- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م، ج1، ص129.
- 17- سورة آل عمران، الآية 41.
- 18- سورة آل عمران، الآية 41.
- 19- سورة مريم، الآية 10.
- 20- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، وعثمان جمعة، وسليمان الحرش، دار طيبة، ط4، 1417هـ - 1997م، ج2، ص36.
- 21- سورة آل عمران، الآية 41.
- 22- الشوكاني²، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية الشوكاني، دار الحديث - القاهرة، ط1، 1413هـ - 1993م، ج1، ص463.
- 23- سورة آل عمران، الآية 102.
- 24- النحاس، الناسخ والمنسوخ، ج1، ص281 - 284.

- 25- سورة التغابن، الآية 16.
 - 26- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م، ج7، ص68.
 - 27- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ، ج1، ص276-277.
 - 28- سورة التغابن، الآية 16.
 - 29- سورة التغابن، الآية 16.
 - 30- سورة التغابن، الآية 16.
 - 31- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، - الخواطر، مطابع أخبار اليوم، من دون تاريخ، ص1113.
 - 32- سورة البقرة، الآية 286.
 - 33- الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص1114.
 - 34- سورة آل عمران، الآية 127.
 - 35- النحاس، الناسخ والمنسوخ، ج1، ص285.
 - 36- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
 - 37- النحاس، الناسخ والمنسوخ، ج1، ص285 - 289.
 - 38- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى 1420 هـ - 2000 م، ص147.
 - 39- المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية ببيروت، بدون تاريخ. ج2، ص1.
- مصادر ومراجع الدراسة:**
- القرآن الكريم.
- 1- أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح - الكويت، ط1، 1408 هـ.

- 2- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، وعثمان جمعة، وسليمان الحرش، دار طيبة، ط4، 1417هـ-1997م.
- 3- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية . بيروت، 1415 هـ.
- 4- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، من دون تاريخ.
- 5- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.
- 6- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، -الخواطر، مطابع أخبار اليوم، من دون تاريخ.
- 7- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية الشوكاني، دار الحديث- القاهرة، ط1، 1413هـ-1993م.
- 8- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000م.
- 9- الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، الإحكام في أصول القرآن
- 10- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.
- 11- المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية ببيروت، بدون تاريخ.